بسم الله الرحمن الرحيم

البراهين الجلية

على

كفر الشعوب العربية

تأليف

محمد بن سعيد الأندلسي

لطف الله به.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فالكثير من الناس في هذ الزمان ـ سواء من طبقة المثقفين أو من المحسوبين على العلم ـ يعتقدون أننا لما كفرنا هذه الشعوب العربية الوثنية بالعموم كان ذلك حكما منا بالتشهي أو من ضغط الواقع أو بسبب قسوة التجارب السابقة وشدتها أو هي أفكار تعشش في السجون فمن أسوارها تخرج تلك الأحكام المرسلة!! ... لذلك يجعلون هذه العقيدة الغريبة على أذواقهم ضرباً من الغلو والتطرف، فلا يتكلفون النظر في أدلتها وتأصيلها لأنهم لا يريدون اعتناقها ابتداءً ولو كانت حقا في ذاتها، فهؤلاء لا سبيل للحق إليهم بإعراضهم:﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[الأنبياء٢٤] ، ونحن نخاطب في هذه الرسالة من ألقى السمع لسلطان الحق عسى الله أن يشرح صدره لصحيح الإسلام ... وفي هذا المختصر دعوةٌ للتائهين وتثبيتا للسالكين، وتلقينا لهم مسالك الحجة ودلائل المحجة حتى تكون منارا للمسلمين وسلوة للغرباء الموحدين، وقد التزمتُ فيها أسلوب التبسيط والتقريب حتى تكون في متناول جميع الطالبين والله الهادي إلى سبيل المؤمنين.

اعلم وفقك الله لتوحيده أن هذه الشعوب قد دخلت في دين الطواغيت أفواجا، فصار الكفر عاماً غير مقتصرٍ على الطبقة الحاكمة وجنودهم وأوليائهم، فإن الطواغيت قد مرت عليهم أزمان مديدة وعقود عديدة وهم يحكمون هذه الشعوب جيلاً إثر جيل بحكم الجاهلية، ويعملون على تنكيس الفطرة السوية وتبديل مضمون الديانة الحنيفية، وترسيخ "**الإسلام المعتدل**" الذي رضيه

لهم الغرب دينا عبر المدارس والمنابر والإعلام والجوامع، فصار جماهير هذه الشعوب على دين ملوكها وطواغيتها وحكامها، فانتشر بينهم شرك القبور والقصور وغُيِّبَ فيهم الإسلام الحنيف، وصارت الديمقراطية لهم منهجا في الحياة لا يبغون عنها حولا، بل يناضلون في سبيلها فيخرجون وينتفضون بالملايين في ساحات "الحرية" يطالبون بالدولة المدنية، ويتعرضون في سبيل شرعيتها للسجن والتعذيب والنكال، فتثور الشعوب بين الحين والغرة في مسيرات سلمية لتخلع طواغيتها وتسترجع الحاكمية التي تفرد بها المماليك، وتطالب بالحق المغصوب في الحكم والتشريع لتختار من الطواغيت من يرتقي بهم في سلم الحريات ويحقق لهم الحياة المدنية الرغيدة ... لقد استيقظت الشعوب وعرفت حقوقها المدنية وصارت تعلم يقيناً أن الدين الذي هي فيه ــ " الديمقراطية " ــ يعطيها الحق في صنع سياسة البلاد، فلها الحق في التشريع بتنصيب نوابها في البرلمان، ولها الحق في الحكم باختيار حكامها في المحافظات والبلاد، **فالحكم والتشريع من الشعب وإلى الشعب** ... فالشعب هو الحاكم والمشرع في هذا الدين الجديد ... طبعا هذا يمارسه الطبقة المتدينة في هذه الشعوب "كالإخوان" فضلا عن الديمقراطيين والليبراليين والعلمانيين بأحزابهم وأتباعهم وأنصارهم ومن يثبت عروش العلمانية فقط!! كالمداخلة والصوفية ودعاة البلاط الملكي، فهل الشعوب إلا أتباع وأنصار هؤلاء!! ... هل الشعوب إلا أجيالا تتخرج من المدارس الوضعية التي تلقنهم تاريخ الطواغيت وتمجيدهم وتدرسهم التربية المدنية عبر أطوار التلقي **فترسّخ فيهم كافة المبادئ التي تجعل الفرد مواطنًا "صالحًا " في المجتمع الجاهلي قادرًا على أن يُشارك بفعاليّة في كافة الأنشطة والمناسبات الوطنيّة والعملية السياسية ــ الحكم والتشريع ــ** وتحقيق مبادئ الولاء للوطن والدفاع

عنه ونصرته، وتعرّفهم بالأنظمة السياسية المتبعة من قبل نظام الدولة، مما يزيد من ولائهم للقوانين والأنظمة والأعراف الجاهلية ويضمن التزامهم بها وانصياعهم لها.

فخلاصة هذه الشعوب هي أجيال نشأت في المدارس الوضعية فانتكست فطرتها وتشبعت بالمعاني الوضعية العلمانية فصار الإسلام عندها محصورا في شعائر وأذكار لا يخرج من صومعة المساجد، كما أن النصرانية المحرفة هي ترانيم وتعاويذ تردد في الكنائس والمعابد ... أما في البيوت والأسواق والشوارع والزقاق وعموم الديار، فالحكم فيها لغير الله تعالى الواحد القهار، فالأضرحة والمقامات والمزارات تُصرف لها العبادة والدعاء من غير نكير أو تكفير، والمحاكم عامرة تحكم بشريعة الطاغوت من دون الله العلي القدير، والبرلمانات تُحلِّل وتُحرِّم وتُشرع وتَسُن اللوائح والقوانين، والشعوب ساكنة خاضعة متبعة منقادة دون مدافعة أو مناجزة أو مناكفة فلا تنكر شركاً ولا تعرف توحيدا .... فارتفع الإسلام عن الأرض وحلت الجاهلية فيها بأوضاعها: العبادة والحكم والولاية والقيم والأخلاق.

هل تعلم أن من المناطات الكبرى التي كفَّر القرآن بها أهل هي اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله في الحكم والتشريع، بالضبط كما هو في هذه الديار لكن بنسخة معدلة موسعة في جعل أراذل الشعوب مصدرا للتشريع كما بينا في آلية الحكم والتشريع في هذه الديار، ولقد دعاهم المولى تبارك وتعالى للبراءة من الأرباب بين يدي الإسلام فإن لم يفعلوا فليسوا بمسلمين كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟

بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:٦٤][1]، فأمر الله نبيَّه أن يدعوهم إلى الكلمة السواء وهي لا إله إلا الله، وذكر مدلولها الذي يصح به إسلامهم ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فإن حققوه كانوا مسلمين، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ، وقد أخبر الله أن أهل الكتاب اتخذوا السادة والعلماء والأشراف والأمراء أربابا يتلقون منهم الشرائع ويطيعونهم في تحليل ما حرم الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة٣١]، قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:« لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم، فسمَّاهم الله بذلك أربابًا»[2]، وسمى اللهُ الطاعة في التحليل والتحريم شركا كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام ١٣١]، "أَيْ: حَيْثُ عَدَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَشَرْعِهِ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ، فَقَدَّمْتُمْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ"[3].

وهذا الذي ذكره المولى في هذه الآيات بأوضح الألفاظ الدالة على الشرك بالله وعبادة الأرباب بالطاعة والاتباع للطواغيت المشرعين واقع من عموم الناس في هذا الزمان وجمهورهم لا ينكره إلا جاهل أو جاحد أو مكابر، وهذا يقتضي الحكم على عموم الناس بالشرك في الطاعة باتخاذ الأرباب في التحليل والتحريم وهو واضح جلي بمنطوق

[1]قال أبو العالية: «كلمة السواء لا إله إلا الله» رواه الطبري في تفيره برقم ٧١٩٩

[2] رواه الطبري برقم ١٦٦٤١

[3] تفسير بن كثير ٣/٣٢٩

القرآن والأثر، قال الشنقيطي:" وَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الكهف:٢٦]، **أَنَّ مُتَّبِعِي أَحْكَامِ الْمُشَرِّعِينَ غَيْرِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ**، وَهَذَا الْمَفْهُومُ جَاءَ مُبَيَّنًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ فِي مَنِ اتَّبَعَ تَشْرِيعَ الشَّيْطَانِ فِي إِبَاحَةِ الْمَيْتَةِ بِدَعْوَى أَنَّهَا ذَبِيحَةُ اللَّهِ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ

﴾[الأنعام:١٢١]، فَصَرَّحَ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِطَاعَتِهِمْ، وَهَذَا الْإِشْرَاكُ فِي الطَّاعَةِ، وَاتِّبَاعِ التَّشْرِيعِ الْمُخَالِفِ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُرَادُ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ

﴾[يس:٦٠]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾[إبراهيم ٤٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[النساء ١١٧]، أَيْ: مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا شَيْطَانًا، أَيْ: وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ تَشْرِيعِهِ، وَلِذَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُطَاعُونَ فِيمَا زَيَّنُوا مِنَ الْمَعَاصِي شُرَكَاءَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ

﴾[الانعام ١٣٧]، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ اتِّخَاذُهُمْ إِيَّاهُمْ أَرْبَابًا.

وَمِنْ أَصْرَحِ الْأَدِلَّةِ فِي هَذَا: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فِي «سُورَةِ النِّسَاءِ» بَيَّنَ أَنَّ مَنْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى غَيْرِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ،

وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانَ مَعَ إِرَادَةِ التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ بَالِغَةٌ مِنَ الْكَذِبِ مَا يَحْصُلُ مِنْهُ الْعَجَبُ ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠]، وَبِهَذِهِ النُّصُوصِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَظْهَرُ غَايَةَ الظُّهُورِ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ **مُخَالَفَةً** لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، **أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ**"[١].

هل تعلم يا طالب الحق أن الامتناع من شريعة من الشرائع هو كفر عموم طائفة الامتناع، فما بالك بالامتناع من تحكيم الدين كله!! ... كالامتناع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الدين وتطبيق الحدود وجباية الزكاة وجهاد الكفار وتقسيم الغنائم وحفظ جناب التوحيد والنهي عن الشرك والتنديد ... فيعتقد السفهاء أنه إذا أذن لهم الطواغيت بالصلاة في المساجد ولم يمنعوهم منها فهي دار إسلام!!! وهذا معناه أن الدول الأوروبية التي تأذن بذلك هي دور إسلام على ميزان هؤلاء ... والناظر في حال الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ وارتداد العرب بمناطات مختلفة: فمنهم من منع الزكاة وأقام الصلاة ومنهم من أشرك مسيلمة الكذاب في النبوة ومنهم من رجع إلى عبادة الأوثان فقال أبو بكر رضي الله عنه: «وَأَمَّا مَنِ ارْتَدَّتْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ، فَمِنْهُمْ مَنْ لا يُصَلِّي وَقَدْ كَفَرَ بِالصَّلَاةِ، **وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي وَقَدْ مَنَعَ الزَّكَاةَ**، وَلا وَاللَّهِ يَا أَبَا حَفْصٍ مَا أُفَرِّقُ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ لأَنَّهُمَا مَقْرُونَتَانِ»[٢] **فحكم عليهم الصحابة بعموم الكفر إلا من أظهر البراءة مما أحدثه قومه من كفر**

---

[١] أضواء البيان ٣/٢٥٩

[٢] الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني ١/٥١

وشــرك امتنــاع كمــا وقــع مــن ثمامــة بــن أثــال واليشــكري وغيـرهم، وهــذا أول إجمـاع وقـع بعـد وفـاة النبي ﷺ وهـو مـن أوضـح الأدلـة على تنزيـل عمـوم الكفـر على ديـار الممتنعـين عـن شـريعة مـن الشـرائع، **والـدول العربيـة مـا هي إلا دورٌ ممتنعـة عـن الحكـم بالتوحيـد والنهي عـن الشـرك وتطبيـق الشـريعة** بجيـوش هي مـن نفـس الشـعب، وقـد رأينـا هـذه الشـعوب تقاتـل مـن يـدعوها إلى الحكـم بالشـريعة بـأفراد الطائفـة الممتنعـة فـإن لـم يكتفـي الطواغيـت بمـن في الثكنـات أخـذوا مـن جنـود الاحتيـاط مـن الشـباب الـذين أعـدوهم آنفـا في الخدمـة الوطنيـة إلـى سـاحات القتـال ... فصــار الشــعب بـذكوره القــادرين علــى القتــال جنــودا مُتعهِـدين بنصـرة ديـن الطـاغوت والقتـال تحـت رايتـه والإعـداد لـذلك ... إن لـم تكـن هـذه الشـعوب هي الطائفـة الممتنعـة فمـن هي إذا!!!! وإن لـم يكـن هـذا مـن الكفـر العـام فمـا هـو إذا !!! قـال ابـن تيميـة:" وَقَـدْ اتَّفَـقَ الصَّـحَابَةُ وَالْأَئِمَّـةُ بَعْـدَهُمْ عَلَـى قِتَـالِ مَـانِعِي الزَّكَـاةِ وَإِنْ كَـانُوا يُصَـلُّونَ الْخَمْـسَ وَيَصُـومُونَ شَـهْرَ رَمَضَـانَ وَهَـؤُلَاءِ لَـمْ يَكُـنْ لَهُـمْ شُـبْهَةٌ سَـائِغَةٌ، فَلِهَـذَا كَـانُوا مُرْتَـدِّينَ وَهُـمْ يُقَـاتِلُونَ عَلَـى مَنْعِهَـا، وَإِنْ أَقَـرُّوا بِـالْوُجُوبِ كَمَـا أَمَـرَ اللَّـهُ"[1]، ألـيس الشـعوب تقاتـل بجيشـها التي هي مـن تُشـكِلُ أفـراده مـن يـدعوها لحاكميـة الكتـاب ويسـمونهم إرهابا ومتطرفين!!.

هـل تعلـم يـا بـاغي الخيـر أن الـدار أو القـوم أو المجتمـع إذا تفشـى فـيهم والكفـر دون نكيـر ولا نـذير وعُطلـت بيـنهم معـالم الـدين وشـرائع الإسـلام واتبـع النـاس ديـن الملـوك المبـدلين بالطاعـة والاتبـاع في الحكـم والتشـريع، أنـه يُحكـم علـيهم بعمـوم الكفـر على الأعيـان إلا مـن أظهـر خـلاف مـا عليـه القـوم مـن الكفـر باللـه وذلـك بإجمـاع الصـحابة كمـا نقلـه عـنهم أبـو عبيـد القاسـم بـن سـلام[2]

[1] الفتاوى الكبرى ٥٤١/٣

[2] وحكـى الإجمـاع أبـو عبيـد القاسـم بـن سـلام في سـياق اسـتدلاله أن العمـل ركـن في الإيمـان فقـال: " وَالْمُصَـدِّقُ لِهَـذَا جِهَـادُ أَبِـي بَكْـرٍ الصِّـدِّيقِ رَحْمَـةُ اللَّـهِ عَلَيْـهِ بِالْمُهَـاجِرِينَ وَالْأَنْصَـارِ عَلَـى مَنْـعِ الْعَـرَبِ الزَّكَـاةَ كَجِهَـادِ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ أَهْـلَ الشِّـرْكِ سَـوَاءً ، لَا فَـرْقَ بَيْنَهَـا فِـي سَـفْكِ الـدِّمَاءِ ، وَسَـبْيِ الذُّرِّيَّـةِ ، وَاغْتِنَـامِ الْمَـالِ ، فَإِنَّمَا كَانُوا مَانِعِينَ لَهَا غَيْرَ جَاحِدِينَ بِهَا" الايمان ١٧/١

واتفق عليه المتأخرون كما قال حمد بن عتيق:" **ومن له مشاركة فيما قرره المحققون**، قد اطلع على أن البلد، إذا ظهر فيها الشرك، وأُعلنت فيها المحرمات، وعطلت فيها معالم الدين، أنها تكون بلاد كفر، تُغنم أموال أهلها، وتستباح دماؤهم، وقد زاد أهل هذه البلد، بإظهار المسبة لله ولدينه، ووضعوا قوانين ينفذونها في الرعية، مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقد علمت أن هذه كافية وحدها، في إخراج من أتى بها من الإسلام"[1]، وإذا صارت الأقوام إلى الشرك والكفر العام فلا تصح البراءة من المشركين إلا بتكفير الأقوام بالعموم، لأن المشركين قد صاروا في صورة الأقوام فلا تتحقق البراءة إلا بتكفيرهم ولا يصحُّ إسلام المرء حتى يُحقِّق البراءة من الشرك والمشركين بدلالة النُّصوص المفسرة لكلمة التوحيد، وبإجماع جميع أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، كما حكى الإجماع عبد الرحمن بن حسن حيث قال: "أجمع العلماء سلفًا وخلفًا من الصحابة والتابعين والأئمة، وجميع أهل السنة: أن المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر، **والبراءة منه وممن فعله**، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله"[2]، فالبراءة من المشركين في صورة شرك الأقوام وعموم الكفر في الديار يتحقق بالبراءة من القوم وتكفيرهم، ودلت عليه نصاً آية الممتحنة: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾، والآيات الواردة في بيان ملة إبراهيم وحقيقة ودعوة الرسل والمفسرة للتوحيد كلها خطاب من الرسل

[1] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٩/٢٥٧

[2] الدرر السنية: (١١/ ٥٤٥).

لأقـومهم المشـركين بـالبراءة والتكفيـر كقولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف ٢٨]، وقولـه تعـالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٧٩]، وسياق قصص الأنبياء في سورة الأعراف وهود حيث يتكرر قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ﴾.

هـل تعلـم يـا مريـد الحـق أنَّ القضـيَّة عنـد صـاحب الفطـرة السـليمة في غايـة الصـفاء والوضـوح: قـومٌ اجتمعـوا في أرضٍ لهـا حـدود فهـي الـوطن، لهـا دسـتور فهـو الحَكَـم لهـا شـعار فهـو العلـم، يُعقـد لـه الـولاء وعليـه البراء يعظَّـمُ بـالقنوت ويقاتـل تحتـه في صـمود، وكـل ذلـك تحـت قـانون: الـدين للـه والـوطن للجميـع، وقـد جعلـوا سَـنَّ القـوانين والحاكميـة في أنفسـهم على جهـة المداولـة على السـلطان، فمـن اختارتـه الأغلبيـة فهـو الحكـم دانـوا لـه بالطَّاعـة والاتِّبـاع لأَجَـل محـدود، ونصَّـبوا القضـاة والحـاكمين يحكمـون بمـا يَسُـنُّه المشـرعين الـذين يُمَثِّلُـون القـوم، وقـد سـنُّوا حُريَّـةَ الأديـان بـل وحـدتها وحريـة الاعتقـاد ـ إلا التوحيـد ـ ونَصَّـبت للنـاس قبابـاً ومشـاهداً وقبـوراً ومعابـداً وزيّنـت لهـم عبادتهـا وحمتهـا بسـيف القـوم، وأشـاعت الرذيلـة وطمسـت الفضـيلة وأنكـرت المعـروف وأمـرت بـالمنكر، ونشـرت الشـرك والتنديـد وفتنـت أهـل الحـق والتوحيـد، فمـا تركـوا مـن أمـر الجاهليـة الأولى شـيئاً إلا كـان لهـم منـه أوفـر حـظٍ وأكمـل نصـيب، بـل تجـاوزا حـد الطغيـان والتنديـد فكـانوا كمـا قـال اللـه في الأقـوام الطَّاغيـة: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[الـذاريات:٥٣] وقـال تعـالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾[الصـافات:٣٠] وقـال تعـالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾[النجم:٥٢]

فـإن لـم يكـن هـذا هـو الكفـر والشـرك والطغيـان فمـا هـو إذا؟ وإن لـم يكـن هـؤلاء هــم المشــركون والكفــار والطواغيــت فمــن هــم إذا؟!! ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[القلم:٣٦] .

هـل تعلـم يـا مـن ترجـوا النجـاة أن عمـوم الشـعوب اليـوم تجهـل معنى الطـاغوت وصـفة الكفـر بـه ولا تعـرف التوحيـد وأركانـه وشـروطه وماهيتـه، ولـم تحقـق صـفة الإسـلام الـذي جـاء بهـا موكـب النـور، ولا شـك أن العلـم بـالمعنى الصـحيح للإسـلام شـرط في الصـحة والقبـول ... فعمـوم الشـعوب تجهـل المعنى الصـحيح لـ لا إلـه إلا اللـه وتفسـرها بـ لا صـانع ولا خـالق إلا اللـه على تفسـير الأشـعرية الجهميـة، ويعتقـدون أن مـن نطـق بـ لا إلـه إلا اللـه فهـو مسـلم ولا يصـح تكفيـره بحـال مـن الأحـوال ولـو فعـل مـا فعـل مـن صـنوف الكفـر والشـرك إلا إذا جحـد الصـانع، ولا يكفـرون الطواغيـت ويعتبـرونهم أوليـاء لأمـورهم تجـب طـاعتهم ولا يكفـرون المشـركين ويجعلـونهم أوليـاءهم في الـدين، وهـذا الـذي شـب عليـه الصـغير وهـرم عليـه الكبيـر في المـدارس والمعاهـد والجامعـات والمسـاجد **وهـذا الجهـل مسـتفيض بـل متـواتر عـنهم وإذا اسـتفاض الأمـر فاشهد به كما نص على ذلك الإمام أحمد[1].**

واعلـم أن مجـرد الانتسـاب إلى الإسـلام والقـول أنـا مسـلم والنطـق بالشـهادة مـع البقـاء علـى ملَّـة الشـرك وهـي ملـة الآبـاء والأجـداد والمجتمعـات والموروثـات واسـتدامتها وعـدم اجتنـاب الطَّـاغوت وطاعتـه ولا البـراءة مـن المشـركين

[1] قـال الخـلال: وأخبرنـا أبـو بكـر المـروذي في هـذِه المسـألة قـال: قلـت لأبـي عبـد اللَّـه: أشـهد أن فلانـة امـرأة فلان، وأنا لم أشهد النكاح؟

قال: نعم، إذا كان الشيء مستفيضًا فأشهد به.

قال: وأشهد أن دار بختان هي لبختان، ولم يشهدني؟ قال: هذا أمر قد استفاض، أشهد بها له.

قـال أبـو بكـر: وأظـن أنـي سـمعته يقـول: هـذا كمـن يقـول: إن فاطمـة بنـت رسـول اللَّـه -صـلى اللَّـه عليـه وسـلم- ، ولا أشـهد أنهـا بنـت رسـول اللَّـه، أمـا طـارق بـن شـهاب يقـول عـن أبـي بكـر: إنـه قـال لهـم: تشـهدون أن قتلانـا في الجنة، وقتلاكم في النار وما رضي -يعني: أبا بكر- حتى شهدوا.

قال أبو عبد اللَّه: وهذا أثبت وأصح ما روي في الشهادة.

"السنة" للخلال ١/ ٢٨٠ - ٢٨٢ (٤٧٤ - ٤٨١)

وتكفيرهم، لا يصير به المرء مسلماً فتكون بذلك دعوى لا تُصحح إسلامهم ولا يترتب عليها أحكامٌ في دين الله عزَّ وجلَّ، وهو انتسابٌ لا اعتبار له في الشرع، وأهله هم من أهل الشرك وملَّة الكفر سواءً بسواء، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[التوبة١١] عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يَقُولُ: «تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الأَوْثَانِ وَعِبَادَتِهَا »، وعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَوْلُهُ: «فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَمْ تَقْتُلْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ»، وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ: «فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ»[١].

هل تعلم أن الله خلق الخلق وأرسل الرسل وأقام الحجج لإفراده بالعبودية والطاعة" **فالإِسْلَامُ: هُوَ الدُّخُولُ فِي السِّلْمِ، وَهُوَ الانْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ**"[٢]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ٣١] قال الطبري:" أي: بالاستكانة، **والخضوع له بالطاعة، و إفراد الربوبية له والعبادة** دون الأوثان والأصنام والآلهة ... والذي أراد ابن عباس ـ إن شاء الله ـ بقوله في تأويل قوله: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ **وحِّدوه، أي أفردُوا الطاعة والعبادة** لربكم دون سائر خلقه"[٣] ... فالشعوب اليوم إنما هي خاضعة منقادة للطواغيت والأرباب الأرضية تتلقى منها الشرائع والأحكام فدخلت في نظام دينها أفواجا كما أخبر بذلك النبي ﷺ عن أبي هريرة قال: «تلا رسول الله - ﷺ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٢٧٢ و٩٢٧٣

[٢] تفسير البغوي ٤٢١/١

[٣] تفسير الطبري ٣٦٣/١

أَفْوَاجًا ﴾ [النصر:٢]، فقال رسول الله ﷺ: «ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا»[1].

فهل يا ترى قومنا مسلمون!! هل تعلم أن القوم المسلمين هم الذين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئا ولا يتخذون الأرباب في الحكم والتشريع، ويتَّبعون رُسل الله وما أنزل الله وشِرعَة الله، ويأمرون بالمعروف وعلى رأسه التوحيد، وينهون عن المنكر وعلى رأسه الشرك والكفر ... هذه هي صفة المسلمين في كتاب الله وما كانت عليه الأقوام المسلمة من لدن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا شك أن الأقوام اليوم لم يحققوا من هذه الأوصاف وصفاً !! فهل من لم يحقق صفة الإسلام يُنسب إليه!! فكيف يقال لهم مسلمون وهم لم يتحققوا بصفة الإسلام؟ وهل يقال لمن لم يأت بصفة الصلاة مصلي؟ فقد قال النبي ﷺ للمسيء صلاته «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ »[2]، فهي أقوام ليست من دين الإسلام في شيء ... هي أقوام كافرة مشركة كأقوام الأمم السابقة المكذبة، والتي طال عليها العهد فغيرت الدين وحرفت التوراة والإنجيل ... فكان خطاب الله تعالى إليها بالتكفير بالعموم، وكذلك في هذا الزمان الذي رجعت فيه الديار إلى الجاهلية فتحقيق ملة إبراهيم في هذ الزمان يكون كما أمر الله تعالى في كتابه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة ٤]، فمن حقق البراءة من قومه ومما يعبدون من دون الله وكفَّرهم وعاداهم وأبغضهم، وآمن بالله واستسلم لله بتوحيده ولم يشرك بالله شيئاً

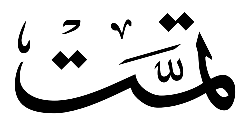
[1] رواه الحاكم في "مستدركه"، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في "تلخيصه".

[2] رواه البخاري برقم ٧٩٣

في العبادة والحكم والطاعة والمحبة، واجتنب عبادة الطاغوت، واتَّبع ما أنزل الله وكان عبداً لله في التلقي والطاعة والاتباع لا عبداً للطواغيت أو ولياً للكافرين كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام١٠٦] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[البقرة٢٥٧] فمن آتى بذلك فقد حقق ملة إبراهيم واستمسك بالعروة الوثقى والكلمة الباقية.

نسأل الله أن يقيمنا على الملة الغراء ويثبتنا على المحجة البيضاء حتى نلقاه، اللهم أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، اللهم أحينا علماء عاملين ما كانت الحياة خيراً لنا، واختم لنا بالشهادة في سبيلك دفعاً عن دينك تحت رايةٍ لا غبش فيها ولا كدر، فلا طابت حياة العبيد في دور الشرك والتنديد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين


تمت